مقالة

إثارة الشعور الاجتماعي في الإسلام

الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

لقد كان إنسان ما قبل الإسلام يتمحور في سلوكه الاجتماعي حول ذاته، وينطلق في تعامله مع الآخرين من منظار مصالحه وأهوائه، وينساق بعيدا مع أنانيته. ولقد هبط في القاع الاجتماعي إلى درجة «الوأد» لأبنائه، خشية الفقر والمجاعة، الأمر الذي استدعى التدخل الإلهي، لإنقاذ النفوس البريئة من هذه العادة الاجتماعية القبيحة، قال تعالى: (ولا تَقتُلُوا أولادَكُم خَشيةَ إملاقٍ).

على أنّ أشد ما يسترعي الانتباه، أنّ ذلك الإنسان الجاهلي، الدائر حول ذاته ومنافعها، قد غدا بتفاعله مع إكسير العقيدة، يضحي بالنفس والنفيس في سبيل دينه ومجتمعه، وبلغت آفاق التحول في نفسه إلى المستوى الذي يُؤثِر فيه مصالح أبناء جنسه على منافع نفسه.

وليس بخفيّ على أحد مستوى الإيثار الذي أبداه الأنصار مع المهاجرين، إذ شاطروهم في كلِّ ما يملكون، وحتى في بيوتهم وأمتعتهم، ولم ينحصر هذا المستوى من الايثار بأفراد، بل شكّل ظاهرة اجتماعية عامّة لم يشهد لها تاريخ الإنسانية نظيرا ـ وفي هذه الظاهرة نزل قرآن كريم يبارك هذه الروح، ويخلّد ذكر مجتمع تحلّى بها، كنموذج من نماذج التلاحم الاجتماعي والمؤاخاة. . قال تعالى: (لِلفُقَرَآءِ المُهَاجِرينَ الَّذِينَ أُخرِجوا مِن دِيارِهِم وأموَالِهِم يَبتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللّه وَرِضوانا وَيَنصُرُونَ اللّه وَرَسُولَهُ أُولئكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإيمانَ مِن قَبلِهِم يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إليهِم وَلا يَجِدُونَ في صُدُورِهِم حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤثِرُونَ عَلى أنفُسِهِم ولَو كانَ بِهِم خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفسِهِ فَأُولئكَ هُمُ المُفلِحُونَ).

وينقض الإسلام أُسسا في البناء الاجتماعي الجاهلي قوامها تعزيز التقسيم الطبقي والقَبَلي للمجتمع، الذي كان يتشكل من طبقتين أساسيتين ؛ طبقة الأشراف، وطبقة العبيد، ولا بدَّ لأبناء طبقة الأشراف أن يبقوا هكذا، تجتمع لديهم الثروات ويحتكرون الشأن والوجاهة، ولا بدَّ لأبناء طبقة العبيد أن يبقوا هكذا يدورون في فلك الأسياد. . فقوّض الإسلام هذه الأسس وأقام محلّها أُسسا جديدة تساوي بين الناس في حق الحياة وحق الكرامة، قال تعالى: (يا أيُّها الناسُ إنّا خَلقنَاكُم مِن ذَكَرٍ وأُنثى وجَعَلنَاكُم شُعُوبا وقَبَائِلَ لِتَعارفُوا إنَّ أكرَمَكُم عِندَ اللّه أتقاكُم)، فتحرر أبناء طبقة العبيد ومارسوا حقهم في الحياة، وارتفع عمار وسلمان وبلال عاليا فوق طبقة أشراف قريش التي ما زالت تتخبط في ضلالات الجاهلية، كالوليد بن المغيرة وهشام بن الحكم وأبي سفيان وأمثالهم. .

وحتى الأموال لم تعد حكرا على الأغنياء ليزدادوا ثراءً، قال تعالى: (مَّآ أفَآءَ اللّه عَلى رَسُولِهِ مِن أهلِ القُرى فللّه وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُربى وَاليتامى والمساكِينِ وَابنِ السَّبِيلِ كَي لا يَكُونَ دُولَةً بَينَ الأغنِيآءِ مِنكُم وَمَآ آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نهَاكُم عَنهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللّه إنَّ اللّه شَدِيدُ العِقَابِ).

■ أساليب تنمية الشعور الاجتماعي:

لقد نمّت العقيدة الشعور الاجتماعي لدى الفرد بوسائل عديدة، منها:

أ ـ إيقاظ الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين:

من خلال تأكيد القرآن الكريم على مسؤولية الإنسان تجاه نفسه وغيره، كقوله تعالى: (وقِفُوهُم إنَّهُم مسؤولُونَ)، وقوله تعالى: (يا أيُّها الَّذِين آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُم وَأَهلِيكُم نَارا..).

وقول الرسول الأكرمﷺ: «وإنّي مسؤول وإنّكم مسؤولون».

وقولهﷺ أيضا: «ألا كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على النّاس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرَّجُلُ راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأةُ راعية على بيتِ بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم..».

ويقول أمير المؤمنينؑ: « اتّقوا اللّه في عباده وبلاده، فإنّكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم..».

وكنظرة مقارنة، نجد أنّ المذاهب الاجتماعية الوضعية، بُنيت على أساس المسؤولية الفردية في هذه الحياة فحسب، وتأييدها بمؤيدات قانونية كحجز الحرية، أو التعذيب، أو التغريم المالي أو العزل عن الوظيفة، أو التسريح عن العمل، أو المكافأة بالمال أو الترقية في الوظيفة.. وما إلى ذلك، وبمؤيدات اجتماعية كالثقة أو حجبها والتقدير أو التحقير.

أما المذهب الإسلامي، فلا يقتصر على مسؤولية الفرد أمام المجتمع الذي يعيش بين ظهرانيه في هذه الحياة، وإنّما يُنمّي في الفرد المسؤولية العظمى أمام الخالق العظيم في حياة أُخرى، وحينئذ يدفعه إلى التحديد الذاتي أو الطوعي لرغباته، والشعور الاجتماعي نحو غيره، بغض النظر عن القانون أو العرف أو الضمير، لأنّ الضمير قد يعجز عن مواجهة الغرائز عند فقدان العقيدة الدينية، كما أنّه ليس من الميسور توفير الرقابة الاجتماعية في كلِّ مكان، وبصورة دائمة، وعليه فإنّ هذه الرقابة الداخلية لا توجد في غير العقيدة الدينية.

ب ـ تنمية روح التضحية والايثار:

لقد حثَّ القرآن الكريم على الايثار، وأشاد بروح التضحية التي اتّصف بها المسلمون، فلمّا بات علي بن أبي طالبؑ على فراش الرسولﷺ يفديه بنفسه، فيؤثره بالحياة، أشاد اللّه تعالى بهذا الموقف التضحوي الفريد، فأنزل: «ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَشرِي نَفسهُ ابتغاءَ مرضاتِ اللّه واللّه رؤوفٌ بالعبادِ».

يقول الفخر الرازي: «... نزلت في علي بن أبي طالبؑ، بات على فراش رسول اللّهﷺ ليلة خروجه إلى الغار، ويروى أنّه لمّا نام على فراشه قام جبريلؑ عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبريل ينادي: بخٍ بخٍ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي اللّه بك الملائكة، ونزلت الآية».

وقدّمت السيرة المطهّرة القدوة الحسنة في هذا المقام، فقد روي عن الرسولﷺ أنّه ما شبع ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا، ولو شاء لشبع، ولكنه كان يؤثرُ على نفسه.

وهذا السلوك النبوي، ظهرت بصماته واضحة في سلوك أهل بيته: ، الذين يسيرون على نهجه، ويترسمون خطاه، ويترجمون أقواله إلى واقع عملي ملموس: «..عن محمد بن كعب القرظي، قال: سمعت علي بن أبي طالبؑ يقول: لقد رأيتني وإنّي لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإنّ صدقتي لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار»، كلّ ذلك لأنّه كان يؤثر على نفسه، ويفضّل مصلحة غيره على مصلحته.

قال أبو النوار ـ بياع الكرابيس: أتاني علي بن أبي طالبؑ: ومعه غلام له، فاشترى مني قميصَيّ كرابيس، فقال لغلامه: اختر أيُّهما شئت، فأخذ أحدهما، وأخذ علي الآخر فلبسه.

ومن الشواهد التأريخية، التي تدل على ذلك التحوّل الاجتماعي الكبير الذي أحدثته العقيدة، في فترة وجيزة، أنّه أُهدي لرجل من أصحاب رسول اللّهﷺ رأس شاة، فقال: إنّ أخي فلانا أحوج إلى هذا منّا، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداوله سبعة أهل أبيات حتى رجعت إلى الأول.

هكذا تربي العقيدة الإنسان المسلم على الشعور الاجتماعي، شعور الفرد نحو غيره، فيتجاوز دائرة الذات إلى دائرة أرحب هي دائرة العائلة، ثم تتسع اهتماماته لتشمل دائرة الجوار، ثم أبناء بلدته، وبعدها أبناء أمته، وفي نهاية المطاف تتسع لدائرة أكبر فتشمل الإنسانية جمعاء.

ج ـ تنمية الشعور الجماعي:

وفي هذا الصدد، نجد فيض من الأحاديث التي تحثُّ الفرد على الانضمام للجماعة والانسجام معها، والانصباب في قالبها، بعد أن ثبت عند العقلاء بأنّ في الاجتماع قوة ومنعة، وبعد أن أكد النقل على أنّ اللّه تعالى قد جعل فيه الخير والبركة، يقول الرسول الأكرمﷺ: «يدُ اللّه مع الجماعة، والشيطان مع من خالف الجماعة يركُضُ».

وقالﷺ: «من خرج من الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه».

وفي كلِّ ذلك دليل قاطع على أنّ الإسلام دين اجتماعي، يحاول ربط الفرد بالجماعة، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وهنا لا بدَّ من التنبيه على أنّ الحكام الظلمة، قد استغلوا مفهوم «الجماعة» أبشع استغلال لتثبيت سلطانهم والمحافظة على عروشهم، فاخذوا يصبّون جام غضبهم على كلِّ من يجهر بكلمة الحق ويقوم بمعارضة تسلطهم اللامشروع، ويفضح أساليبهم غير الإسلامية، وكان الأمويون ـ الذين اتّخذوا مال اللّه دولاً وعباده خولاً ـ يقتلون كل من خرج عليهم بحجة أنّه مفارق للجماعة، وكذلك سار العباسيون على ذلك النهج، بل وتفوّقوا على الأمويين في ابتكار أساليب القتل والتعذيب.

ومن يتصفّح كتب التأريخ، يجد أنّه ينقل صورا بشعة لأساليب التنكيل والقتل التي مارسها الأمويون والعباسيون ضد العلويين بحجة واهية هي الخروج عن الاجماع والجماعة.

على أنّ الرسولﷺ قد أوضح بجلاء مفهوم الجماعة الذي لا يعني ـ بالضرورة ـ الكثرة، كما يتصوره السطحيون وكما يُحرِّفه السلطويون، بل يعني جماعة أهل الحقّ وإن قلّوا، قالﷺ: «من فارق جماعة المسلمين فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه قيل: يا رسول اللّه ما جماعة المسلمين؟ قالﷺ: جماعة أهل الحق وإن قلّوا».

وعودة إلى أصل المطلب، فقد تبيّن لنا بأنّ العقيدة تدعو الإنسان المسلم إلى الانضمام إلى الجماعة، وهنا ثمة تساؤل يفرض نفسه، وهو وجود أحاديث كثيرة في مصادرنا، تدعو الإنسان المسلم إلى إيثار العزلة، وبالتالي الابتعاد عن الناس، يُجيب مؤلف جامع السعادات، الشيخ النراقي عن ذلك بقوله: (نظر الأولون إلى إطلاق ما ورد في مدح العزلة، وإلى فوائدها وما ورد في مدحها، كقول النبيﷺ: «إنّ اللّه يحب العبد التقي الخفي »، وقولهﷺ: «أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل اللّه، ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب».

وقول الإمام الصادقؑ: «فسد الزمان، وتغيّر الاخوان، وصار الانفراد أسكن للفؤاد»، وقولهؑ: «أقلل معارفك، وأنكر من تعرف منهم».

إلى أن قال: فالصحيح أن يقال: إنَّ الأفضلية منهما ـ أي المخالطة والعزلة ـ تختلف بالنظر إلى الأشخاص والأحوال والأزمان والأمكنة، فينبغي أن ينظر إلى كلِّ شخص وحاله.. أنَّ الأفضل لبعض الخلق العزلة التامة، ولبعضهم المخالطة، ولبعضهم الاعتدال في العزلة والمخالطة).

ويمكننا التوفيق بين الطائفتين بالقول: إنّ الاتجاه الداعي إلى العزلة، يمكن حمله على عدّة وجوه، منها: أنّ التوجه للعبادة يتطلب ـ عادةً ـ الابتعاد عن الناس آنا ما، بغية الانقطاع إلى اللّه تعالى.

وهذا الأمر ـ بطبيعة الحال ـ لا ينطبق على جميع العبادات، فالحج الذي هو عبادة ذات صبغة اجتماعية، يجتمع خلاله الناس من كلِّ حدب وصوب في مكان واحد، وزمان محدد، لأداء شعائر واحدة.

من جانب آخر يمكن حمل العزلة على تجنّب مخالطة الأشرار، فقد ورد في وصية الرسولﷺ لأبي ذر الغفاريؓ:...«يا أبا ذر، الجليس الصالح خيرٌ من الوحدة، والوحدة خيرٌ من جليس السوء..».

أما الاختلاط بالأخيار، فهو أمر مرغوب فيه، والإسلام ـ كما أسلفنا ـ يحثُّ عليه، وعلى العموم فهناك حالات استثنائية تستدعي العزلة عن الناس، أما القاعدة العامة في الإسلام، فتؤكد على مخالطة الناس، والصبر على أذاهم.

يقول الرسول الأكرمﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم».

والإسلام يبغض العزلة التامة عن الناس مهما كانت مبرراتها، عبادية أو غيرها، فلا رهبانية في الإسلام كما هو معروف، ومن الشواهد النقلية على ذلك أن رسول اللّهﷺ فقد رجلاً، فسأل عنه فجاء، فقال: يا رسول اللّه إنّي أردتُ أن آتي هذا الجبل فأخلو فيه فأتعبّد، فقال رسول اللّهﷺ: «لصبر أحدكم ساعةٍ على ما يكره في بعض مواطن الإسلام خير من عبادته خالياً أربعين سنة».

وعلى ضوء ذلك فهناك مواطن تتطلب من الفرد أن ينظم إلى الجماعة وأن ينصهر بها، كمواطن الجهاد، وحضور الجماعة في المساجد، والدراسة في مراكز التعليم المختلفة وغيرها.

الأستاذ عباس ذهيبات – بتصرف يسير

المصدر: المركز الإسلامي للتبليغ

تعريف بكتاب

فيض الدّموع

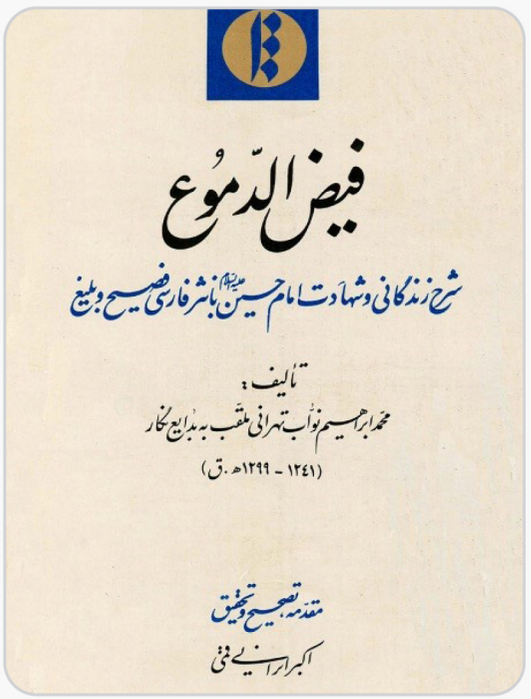

ميراث مكتوب - حول تاريخ نهضة الإمام الحسينؑ، وخاصة أحداث يوم عاشوراء، وموضوع العزاء للإمام الحسينؑ وسرد مقتلِه، كُتبت العديد من الكتب عبر التاريخ، مما يدلّ على اهتمام العلماء والباحثين المسلمين بهذا الموضوع.

من بين الكتب القيّمة التي كُتبت بلغة فارسية بليغة خلال فترة القاجاريين، يأتي كتاب فيض الدموع، الذي ألّفه محمد إبراهيم نوّاب تهراني، المعروف بلقب "بدائع نگار"، في عام ١٢٩٩ هـ.ق. وقد طُبع لأول مرة بخطّ جميل من خطّاط العصر، المرحوم كلهر.

كان أحد دوافع المؤلف في كتابة هذا الكتاب هو عدم توفر كتاب موثوق وصحيح بلغة فارسية بليغة يمكن لعامة الناس في عصره الوصول إليه. ولذلك، سعى إلى كتابة مقتل يخلو من النقائص، ويتميّز بنثر فصيح وأساليب أدبية راقية، ليجذب النفوس الراقية ويُشجّع القُرّاء على المطالعة بشغف.

كتاب فيض الدموع، كغيره من كتب المقاتل، يضمّ تفاصيل مقتل الإمام الحسينؑ وأحداث استشهاد مسلم بن عقيل وسائر شهداء كربلاء، إلى جانب نهب خيام الإمام وأسر أهل بيته في الكوفة والشام وخطب السيدة زينب والإمام السجادؑ في مجلس يزيد.

هذا الكتاب يُعدّ نصًا أدبيًا فاخرًا باللغة الفارسية، وهو عمل حماسي ومستند إلى مصادر تاريخية موثوقة. وبحسب الدراسات، لم يُؤلَّف حتى الآن كتاب فارسي بمثل هذه الخصائص البليغة والمستندة إلى المصادر الأصيلة. وقد اعتمد المؤلف بشكل كبير على كتاب اللهوف أو الملهوف للسيد ابن طاووس، الذي طُبع مرارًا. ولكن بعض الفهرسيين أخطأوا واعتبروا كتاب فيض الدموع ترجمةً لكتاب اللهوف.

فيض الدموع (سيرة حياة وشهادة الإمام الحسينؑ بلغة فارسية فصيحة وبليغة)، من تأليف محمد إبراهيم نوّاب تهراني المعروف بـ"بدائع نگار" (١٢٤١-١٢٩٩ هـ.ق)، وهو من كبار الكتّاب والأدباء البارزين والسياسيين الواعين في زمن محمد شاه وناصر الدين شاه القاجاري. قام بتحقيق وتصحيح الكتاب أكبر إيراني قمي، وتم نشره في عام ١٣٧٤ هـ.ش (١٩٩٥ م) من قبل مؤسسة انتشارات هجرت ومؤسسة ميراث مكتوب البحثية.

الآفاق
السنة الثالثة
الـ ١١٥
الإثنين ٣ صفر ١٤٤٧ هـ.ق
٤ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
مركز إدارة الحوزات العلمية
المشرف: رضا رستمي
رئيس التحرير: علي رضا مكتب دار بمساعدة الهيئة التحريرية
هاتف: ٣٣٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٣٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
ص. ب: ٣٧١٨٥/٣٣٨١
العنوان: قم، شارع جمهوري إسلامي، زقاق ٢، رقم ١٥
الموقع: www.ofoghhawzah.ir
البريد الالكتروني: info@ofoghhawzah.ir
تصميم: مرتضى حيدري آهنگري
مسئول الطبع: مصطفى اويسى • طباعة: صميم ٣٤٥٣٣٧٢٥ ٢١ ٩٨ +

شعر وقصيدة

حميد حلمي زادة

قصيدة منسوبة إلى أمير المؤمنينؑ

أَما وَاللَهُ إِنَّ الظُلمَ شُؤمٌ
وَلا زالَ المُسيءُ هُوَ الظَلومُ
إِلى الديّانِ يَومُ الدينِ نَمضي
وَعِندَ اللَهِ تَجتَمِعُ الخُصومُ
سَتَعلَمُ في الحِسابِ إِذا التِقَينا
غَداً عِندَ المَليكِ مَنِ الغَشومُ
سَتَنقَطِعُ اللِذاذَةُ عَن أُناسٍ
مِنَ الدُنيا وَتَنقَطِعُ الهُمومُ
لِأَمرٍ ما تَصَرَّفَتِ اللَيالي
لِأَمرٍ ما تَحَرَّكَتِ النُجومُ
سَلِ الأَيّامَ عَن أُمَمٍ تَقَضَّت
سَتُخبِرُكَ المَعالِمُ وَالرُسومُ
تَرومُ الخُلدَ في دارِ المَنايا
فَكَم قَد رامَ مِثلَكَ ما تَرومُ
تَنامُ وَلَم تَنَم عَنكَ المَنايا
تَنَبَّه لِلمَنِيَّةِ يا نُؤومُ
لَهَوتَ عَنِ الفَناءِ وَأَنتَ تَفنى
فَما شَيءٌ مِنَ الدُنيا يَدومُ
تَموتُ غَداً وَأَنتَ قَريرُ عَينٍ
مِنَ الفَضَلاتِ في لُجَجٍ تَعومُ

نصيحة نفسية

حين يعانق الأمل أفق الحياة

في لحظات الحياة العصيبة، قد تبدو السماء فوقك ملبدة بسُحُبٍ داكنة، وكأنها تحجب كل ضوءٍ عنك، تاركةً إياك في ظلامٍ يثقل الروح. قد تشعر حينها أن ضيق الحال يطوقك من كل جانب، وأن الأمل الذي كان يومًا يضيء قلبك يتلاشى شيئًا فشيئًا تحت وطأة اليأس. تلك اللحظات القاسية قد تجعلك تظن أن الفرج بعيدٌ، وأن النور الذي تنتظره قد لا يأتي أبدًا.

لكن تذكر دومًا أن الطبيعة تحمل دروسًا عميقة؛ فالمطر الذي يُحيي الأرض ويعيد لها الحياة لا يهطل إلا بعد أن تتكاثف الغيوم حتى يغلب الظلام. والشمس التي تملأ الكون دفئًا لا تشرق إلا بعد أن يعم الليل وتبلغ عتمته ذروتها. هكذا هي الحياة، تعطيك أجمل ما فيها بعد أن تختبر صبرك وقوتك.

لا تفقد الأمل مهما بلغت شدة الألم. اعلم أن الابتسامة التي تنتظرها ستعود إلى وجهك، ولكن هذه المرة ستكون ابتسامة نابعة من أعماق قلبك، مليئة بالرضا والراحة. ستنسى كل ما مررت به من مشقة، وستدرك أن كل تلك المعاناة كانت مجرد جسرٍ عبور نحو أيام أجمل وأمل جديد.

نرحب بآراء القراء الأعزاء عبر البريد الالكتروني التالي

Alafagh1444@gmail.com